3/ حلقة موسكو

(جاكبسون)

3- حلقة موسكو / رومان جاكبسون *Roman Jakobson* (1896- 1982)

1- لمحة عن حياة رومان جاكبسون :

هو أحد أعلام حلقة براغ اللسانية، ولد سنة 1896م في موسكو في أسرة من الفنانين والعلماء، وتلقى تعليمه في معهد اللغات الشرقية في موسكو، وكان ذا جهد وافر في تأسيس حلقة موسكو اللّسانيّة التي أسست سنة 1914، وعقدت أول اجتماع لها سنة 1915. وكان هدف هذه الحلقة فن الشّعر وتحليل الشّعر أو ما يسمى (الشّعرية). غادر جاكبسون روسيا سنة 1920، وهو العام الذي غادرها فيه (تروبتسكوي، وحط رحاله في (براغ،) ودرس في جامعتها وتخرج منها حاملاً شهادة الدكتوراه سنة 1930، ودرّس في جامعة Brno، وكان صاحب إسهام وافر في تأسيس جماعة لسانيّ براغ، فقد انضم مع لغويين روس وتشيك آخرين إليها، وكان لظروف الاحتلال الألماني لـ (تشيكوسلوفاكيا) إسهام في هروبه إلى الدول الإسكندنافية في بادئ الأمر، فعمل أستاذا زائرا في(جامعة كوبنهاغن) ثم قصد سنة 1941م الوليات المتحدة الأمريكية، ولما استتب له الأمر كان أحد مؤسسي حلقة نيويورك اللّسانيّة Linguistic Circle of New York، وكان له موقع الصدارة في مجلتها التي تصدر عنها باسم Word، وهناك درس في عدد من الجامعات الأمريكيّة، منها جامعة هارفارد، ومعهد ماساشوستس للتكنولوجيا، وكان له كبير في نقل المعرفة اللّغويّة الأوربيّة[1].

كان لجاكبسون دور بارز في تطوير النظريّة اللسانيّة من خلال اللّسانيّات البنيوية، وأسهم مع (تروبتسكوي) في وضع (الفونولوجيا/ التّصويتيّة[2] وناقض زميله(تروبتسكوي) فمال إلى النظر إلى الفونيم على أنّه"مجموعة من مجموع سمات فارقة موجودة بشكل متزامن[3].

يعتبر جاكبسون صاحب أول صياغةٍ حديثة للفونيم، إذ وضع تصنيفًا للتقابلات الصوتيّة ضمها 12 تقابلا صوتيًا أساسيًا، وهي تقابلات يمكن جمعها في التقابلات الجهوريّة، والسمات

---

[1] ينظر: وليد محمد السراقبيّ: الألسنية: مفهومها، مبانيها المعرفية ومدارسها، سلسلة مصطلحات معاصرة، العتبة العباسية المقدّسة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 2019، ص136، 137.

[2] بريجتيه بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، ص144.

[3] المرجع نفسه، ص145.

النغميّة[1]، ذلك أنّ "النظام الفونولوجي المعين لكلّ لغة هو اختيار من الثّنائيات المتقابلة"[2]، وهذا ما جعل (جورج مونان Georges Mounin يقول بـ (الثّنائية الجاكبسونيّة[3]، ويمثلها ميله الفلسفي إلى تفسير كل القضايا في ضوء التقابل بين كلمتين، وهو اتّجاه لم يخلُ من ضعف يتجلى في "تقويم التعارض بين التراكيب المعلَّمة والتراكيب غير المعلّمة في المورفولوجيا، والنحو، وعلم المعاني"[4].

1- حلقة موسكو اللسانية ومبادؤها[5]:

يرى "جاكوبسون" من خلال ما يعرف بحلقة موسكو أن اللغة وسيلة التواصل الإنساني، الذي لا يتحقق إلا بتوفر العناصر التالية: - المرسل: يقوم بأداء الرسالة. - المرسل إليه (المتلقي): يستقبل الرسالة. - إقامة الاتصال بين المرسل والمتلقي: لكي ينجح هذا الاتصال لا بد من وحدة التجربة بينهما، وذلك وفق قناة التحويل التي تحقق الاتصال وتبقيه قائما. ولغة مشتركة يتكلمها المرسل والمتلقي معا، وهو ما يسهل عملية التواصل (سنن) - رسالة لغوية: وهي ظرف للمحتوى الكلامي، الذي تشير إليه ويفهمه المتلقي في الوقت نفسه. - محتوى لغوي: ترمز إليه الرسالة وتشكله اللغة المشتركة بين المرسل والمتلقي ونستطيع تمثيل هذه العناصر اللازمة لتحقيق عملية التواصل كما يلي:

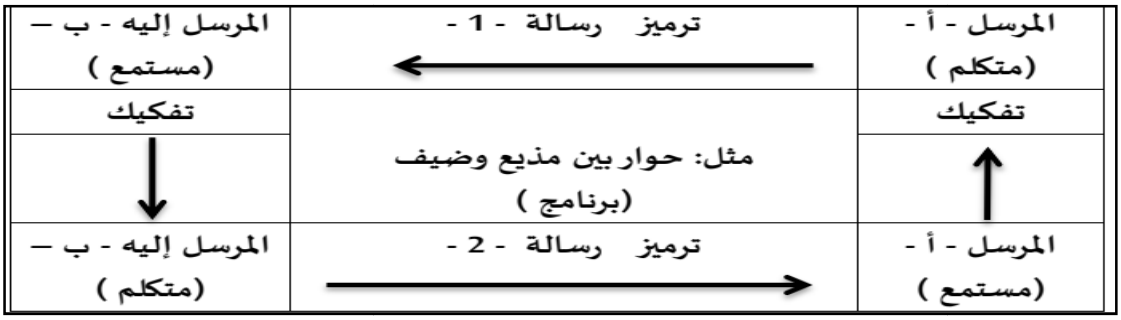

[1] يوسف غازي: مدخل إلى الألسنية، منشورات العالم العربي الجامعية، دمشق، ط19 ، ص: 262.

[2] بريجتيه بارتشت: مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى نعوم تشومسكي، ص148.

[3] والمراد بالتراكيب المعلَّمة التي تحمل خاصة فونولوجية أو شكلية أو نحوية تميزها من غيرها. ينظر: جورج مونان، تاريخ علم اللّغة حتى القرن العشرين، تر: بدر الدين القاسم، ط2، 1981، ص154.

[4] المرجع نفسه، ص 154.

[5] - ينظر: م. ل. سعودي: دروس في المدارس اللسانية (الموضوع 4)، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب، جامعة محمد لمين دباغين- سطيف، منصة مودل، على الرابط:
https://cte.univ-setif2.dz/moodle/mod/page/view.php?id=47898

أ- مبادئ الحلقة:

استلهم جاكبسون رفقة تروبتسكوي مبدأ النظام الذي أقرّه دو سوسير والقاضي بأن اللغة كيان مكتف ذاتيا في جوهرها نظام من العناصر التي تعمل من خلال الفروق بين لغة وأخرى دون إعارة اهتمام للأنظمة الصوتية (اللغة شكل لا مادة)، لكنهما انفتحا على دراسة تلك الأنظمة الصوتية، فقد اتجه الأول إلى دراسة التطورات التاريخية للأنظمة الصوتية اللغوية، وتعهد الثاني باعتماد مفهوم النظام المكتفي في تحليل النظم الصوتية في جميع الألسن البشرية. غير أن دراستهما بينت هشاشة المبدإ السوسيري؛ نظرا لأن النظام الصوتي ليس من طبيعة واحدة تماما، وإذا كان دوسوسير يرى أن لا شيء يربط المادة الصوتية سوى مبدإ الاختلاف، فإنهما يعتقدان بأن أصوات مثل (f)(d)(t) لا رابط بينها إلا كونها فونيمات متمايزة ما دامت تعمل على التمييز بين المعاني، في وقت أن (d)(t) تربطهما علاقة أكثر مما يرتبطان بالصوت (f)؛ وذلك بالنظر إلى أن أعضاء النطق تأخذ نفس الوضع في نطقهما مع قيمة خلافية جوهرية هي الجهر في(D) دون (T). وهما يطرحان مصطلحات مهمة في ضبط المفاهيم: (الارتباط) عندما تقوم علاقة مفهومة وواضحة بين صوتين أو أكثر و(القطع) عندما تنعدم تلك العلاقة، ولا تكون عندئذ إلا قيمة المفارقة والاختلاف لا غير، (الفونيم الأساسي) ويقصدان به كل الخصائص المشتركة التي توحد بين صوتين أو أكثر بغض النظر عما قد ينفرد به صوت منها ، من الخصوصيات المسماة (علامة)؛ كالجهر الحاضر في (d) الغائب في (t).

اقترح جاكبسون في إطار هذا التصور سلّما هرميا للأصوات في كل اللغات الإنسانية، فصوت مثل (a / ا) صوت غير معلم، وهو يخرج بأقل قدر من الإغلاق للمجرى، إلا أنه كلما أضفنا إليه درجة ما من درجات الإغلاق (اللسان/ اللسان مع الشفتين/ الحنجرة بالنسبة للأصوات الصامتة) كان ذلك تعليما نطقيا مؤثرا على الصوت الأساسي (غير المعلم/ المتحرر/ المطلق). وتتمثل أعلى درجة لتمييز في أولى الكلمات التي يكتسبها الطفل (ماما/ بابا) التي تحمل تضادا بين أدنى السلم وأعلاه (الصائت المتحرر في مقابل الصامت الشفوي الانفجاري)، كما أنّ صعوبة اكتساب أصوات معينة أو سهولة أخرى راجع عند جاكبسون إلى العقل ومدى اكتمال بنياته لا إلى اللسان بوصفه عضوا مكتملا، ونظير هذا مهارتي القراءة والكتابة، فالأمر إذن يتعلق بسهولة إدراك العقل لأصوات دون أخرى أو بصعوبته، وقد أشار إلى أن

رتبة صوت معين ضمن السلم الكوني للاكتساب الصوتي عند الأطفال يتطابق مع درجة توزيعه بين لغات العالم، فهم يتعلمون الفوارق القوية قبل الضعيفة، وعليه فإن اكتساب الأصوات الاحتكاكية (فوارق ضعيفة) يعني بالضرورة اكتساب القطعية الموقوفة الانفجارية. أما عند الفقدان بسبب مرض الحبسة الكلامية فالأمر يأخذ مسارا عكسيا، فتكون الأصوات غير المعلمة أكثر ثباتا من المعلمة التي يسرع إليها التأثير، والحال نفسها بالنسبة إلى الأكثر والأقل تعليما.

يعتقد جاكبسون بأن ما يصيب أصوات اللغة في تاريخها الطويل يرجع إلى سبب رئيس يقبع خارج البنية وهو (الوظيفة)، وهو ما يعد امتدادا لرأي سقراط في عمل اللغات، كما عرضه أفلاطون في محاوراته، وبخاصة محاورة كراتيليس.

وعندما ينص جاكبسون على أن "اللغة في الواقع أداة انتظمت بقصد التعبير عن الأفكار"، يكون بذلك قد فتح الباب لتجاوز تحكمية الوظيفة إلى مجال الأساليب، وخاصة ما يعرف بالأسلوبية التعبيرية التي أرسى دعائمها شارل بالي. لكن الإشكال الذي ينهض أمام ما يذهب إليه جاكبسون هو دعوته إلى نسبة التغيرات إلى الوظيفة وإلى نفي أي قصدية تقف وراء ذلك التغير، وهذا يشبه إلى حد بعيد فكرة اليد الخفية التي قال بها آدم سميث في نظريته في الاقتصاد. كما تبني جاكبسون في محاولة معرفة أسباب التغيرات اللغوية الصوتية مقاربة تحمل هي الأخرى إشكالا واضحا، وذلك عندما قال بأن العلامة اللغوية تاريخية سكونية في الوقت نفسه، وهو يقصد استصحاب التاريخ في فهم الحالة الراهنة التي ليست سوى سلسلة من التغيرات في التاريخ، حتى استقرت على ما هي عليه.

ب ـ نظرية وظائف اللغة[1]:

اقتبس جاكبسون مبادئ نظرية الاتصال التي ظهرت سنة 1948 في معالجته اللغة، فرأى أن اللغة تؤدي في مجموع استعمالاتها مجموعة من الوظائف بحسب أطرافها وسياقات استعمالها ما يرتبط بها وأهدافها، وخرج من ذلك بخطاطة سداسية للمكونات وللوظائف:

[1] ماري آن بافو ، جورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إل الذرائعية، تر: محمد الراضي، المنظمة الهربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص203، 204.

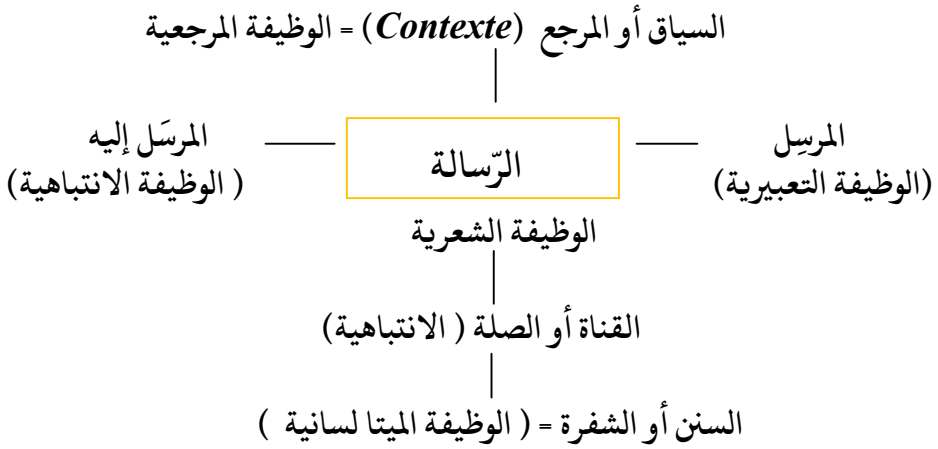

يميّز جاكبسون ستَ وظائف لغوية تنبثق عن مكونات نموذجه التواصلي، و تفصيلها:

- **الوظيفية المعرفية Cognitive "الوضعية" أو "المرجعية":**

تتفرع هذه الوظيفة عن الشكل التواصلي المتمثّل في "السياق"، ويمكن أن تتحقّق في اللّغة اليومية واللّغة العلمية، لأنّ الرسائل في هذه الحالة تعتمد على المواضعة اللّغوية المشتركة بين افراد الجماعة اللسانية، كما أنّ الغرض من التواصل يتمثّل في الإبلاغ ذي الطبيعة النفعية وما دامت الرسائل اللفظية لا تتنوّع تبعا لهرمية الوظائف، فإنّ وظائف أخرى تتواجد مع هذه الوظيفة المهيمنة في هذه الرسائل.

- **الوظيفة التعبيرية Expressive "الانفعالية" (المرسل):**

وتتمثّل في الرسائل التي تركّز على الحمولة الانفعالية والوجدانية، ومن ثمّ فإنّها ترتبط بالمرسل، أي تقدم انطباعه وانفعاله تجاه شيء ما، وترتبط هذه الوظيفة ببنية تعبيرية خاصة على مستوى النحو والصوت والمعجم، ويترتّب عن هذا تباين بين ظواهر لسانية متنوعة، فعلى المستوى الصوتي مثلا: ترقى الظواهر الفيزيولوجية والعناصر التمييزية إلى مرتبة العنصر التمييزي الذي يعبّر عن الانفعال، وهكذا فإنّ الاختلاف كما يذكر جاكبسون |si| و|si| اختلاف من طبيعة انفعالية في اللّغة التشيكية، ينبغي تمييزه عن الاختلافات الأخر – الفونيمية مثلاً – إنّ لهذه الوظيفة علاقة بأشكال وأنماط الإنشاد التي تتحقّق بها العبارة.

- **الوظيفة الإفهامية Conative (المرسل إليه):**

تكتسي نوعية الإبلاغ الموجه للمستمع صبغة الأداة التمييزية التي تطبع الرسائل بدلالات خاصة، واتسمت مظهراتها وبناها التركيبية والنحوية بخصيصات محدّدة، تعين تعالق مكونات

الجملة والخطاب واقسام الطبقات التعبيرية، فالوظيفة الإفهامية التي تتصل وتركز على المرسل إليه تحدّد لنفسها إطارا خاصا للتبادلات العلائقية والتمفصلات اللسانية التي تتفاعل بداخلها فهي تجد تعبيرها النحوي: "الأكثر خلوصاً في النداء والأمر اللذين ينحرفان من وجهة نظر تركيبية وصرفية وحتى فنولوجية"

- **الوظيفة الانتباهية: *Phatique* (إقامة الاتصال):**

تهدف بعض الرسائل، كما يؤكد ياكوبسون، إلى إقامة التواصل والحفاظ عليه، وذلك باستخدام أشكال تعبيرية وسلسلات لفظية في لحظات معينة، قصد التأكد من استمرار التواصل وصحة تمثل المستمع مضمون الإبلاغ الحقيقي، وتأخذ هذه الوظيفة أبعاداً تشكيلية توظف لأغراض فنية توفرها الرغبة في إقامة التواصل وتحقيق جمالية تتفاعل مع الحمولة المعرفية الخاصة.

- **الوظيفة الميتا لسانية *Metalinguistique* (السنن):**

يمكن أن نميّز هذه الوظيفة بين مجالين لغويين، المجال الأول وتمثّله "اللّغة الواصفة المعتمدة في الدراسة العلمية التي تتّخذ من اللّغة موضوعا لها"، أمّا المجال الثاني فيرتبط بعمليات الشرح التي تتخلّل التواصل في الكلام اليومي، وهي ترمي إلى تحقيق درجة قصوى من التمثّل لدى المستمع.

- **الوظيفة الشعرية *Poetique* للرسالة:**

تركز الرسائل التي تهيمن فيها هذه الوظيفة على الرسالة ذاتها، وينبّه رومان ياكوبسون إلى أنّ هذه الوظيفة لا تقتصر على الشعر وإنّما ينبغي دراستها في أشكال الرسائل اللفظية الأخرى وكذلك غير اللّفظية وتعمل هذه الوظيفة على إبراز قيمة الكلمات والأصوات والتراكيب ... في ذاتها، مانحة إيّاها قيمة مستقلة.

بالإضافة إلى هذه الوظائف اللّغوية نلاحظ أشكالا تعبيرية أخرى ترتبط إمّا بالأجناس التعبيرية أو بالطبيعة الميثولوجية لأنماط عدة من الاتصالات.

إنّ هذه الوظائف هي محاولة تحليلية ونقدية اكتشف بواسطتها رومان ياكوبسون تنوعات لغوية غالبا ما تمّ الخلط بينها أو كانت مجهولة، فهذا الاكتشاف يفتح في وجه اللسانيات آفاقاً

رحبة لدراسات متعمّقة تميّز خصوصيات الرسائل اللفظية وتنوعاتها. وكل وظيفة من هذه الوظائف تتمازج وتتسلسل وفق هرمية تحفظ لكل رسالة هيكلها وعنصرها الذاتي المميّز، وبخصوص الوظيفة الشعرية فإنّ آليات وتمفصلات محددة تتحكم في بنيتها اللّفظية قصد تحقيق ماهيتها، وهذه الآليات تفصل لغة الشعر والفنون الأخرى التي تهيمن فيها هذه الوظيفة عن اللّغة اليومية وما يماثلها كلغة العلم، ويتأسس الحد الفاصل اعتماداً على عمليتي: الاختيار *selection* والتأليف *combinaison* التي سنعين طبيعتها اعتماداً على تصوّر سوسير في كتابه: "دروس في اللسانيات العامة" وتصوّر رومان جاكبسون لهاتين العمليتين وطبيعة التحولات في العلاقات المتبادلة بين هذين المحورين في اللّغة الشعرية خاصة.

خلاصة القول أنّ "جاكبسون" أدّى دوراً هاماً في مجال اللسانيات الحديثة خاصة، والفكر البشري عامةً، فكانت آراؤه الشرارة الأولى والدعامة الأساسية لجانب كبير من الدراسات الإنسانية المعاصرة، وكان تأثيره كبيراً في ميادين عديدة من العلوم الإنسانية وكان القسط الكبر من تفكيره موجهاً للنظرية اللسانية.